خاتم الأنبياء والمرسلين
في الكتاب المبين
-دراسة دلالية-

أ.م.د. يونس حمش خلف محمد الجوعاني

The last of the Prophets and Messengers in the Holly Book (Quran), (Semantic Study)

Asst. prof phd. Yunus Hamash Algoaani

The research presented an important study about the Prophet's life (PBUH) for HIS birth and death and the significance of his name, the research studied HIS morals and attributes and thus he has been the good example that Muslims has the right to follow and take it as an example for their lives and titles .

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين.

توفرت لدي رغبة جامحة في الكتابة حول شخصية إنسانية نادرة المثيل، إن لم نقل ليس لها نظير في دنيا البشر، إنه النموذج الإنساني الرائع الذي أثر في حياة البشرية جمعاء، إنه نبينا محمد بن عبدالله ﷺ .

هذا الرسول الصادق الأمين الذي حبا البشرية من قلبه ووجدانه الشيء الكثير، مما جعل منزلته الأولى من بين الشخصيات التي قادت البشرية، ورسمت لها معالم الطريق، الذي يجب أن تسير وفق منهجه القويم وصراطه المستقيم دونما انحراف أو زيغ.

فشخصية الرسول الكريم ﷺ، التي التقى في بنائها وتكوينها عناية إلهية، هي في القمة التي تعانق عندها الوحي بالفكر، فأنتجت لنا معجزات العبقرية البشرية والإرث الإنساني الرائع، حيث تلاقحت البشرية بالنبوة واتصلت الأرض بالسماء.

ومنذ فجر الإسلام والمسلمون يتسابقون إلى إظهار محاسنه، ونشر سيرته العطرة، فقلوبهم تهفو إلى محبة رسولهم ﷺ، وتتلمس الأسباب التي توثق الصلة فيما بينهم وبينه.

ومن هنا جاءت فكرة الكتابة في هذا الموضوع الموسوم: (خاتم الأنبياء والمرسلين في الكتاب المبين . دراسة دلالية .). وما أسطره ليس التاريخ وليس السيرة، وإنما هي جوانب من هذه الشخصية، ومواقف تتجلى فيها أحداث الماضي وارتباطها بالواقع، وآثرت أن تمتزج الموضوعات بمدلولاتها اللغوية، لما في ذلك من أثر في توضيح الأشياء وإعطائها بعداً لغوياً، يكشف لنا دلالات جديدة، ويكسبها صبغة لغوية لم نألفها من قبل.

واقتضت طبيعة المادة التي توفرت لدي أن تنتظم في عدة موضوعات هي:

١. حياته: أ . ولادته. ب . وفاته. ٢. الدلالة اللغوية لاسمه. ٣. قصة نزول الوحي. ٤. مشهد الإسراء والمعراج. ٥. أخلاقه وشمائله. ٦.مكانته بين الأنبياء والرسل. ٧. الدلالة اللغوية لخاتم الأنبياء.

ويسبق ذلك كله التمهيد: الذي تطرق إلى الدلالة اللغوية لكلمتي النبي والرسول.

وبدأت بتحديد الدلالة اللغوية للألفاظ التي تضمنها البحث من خلال كتب اللغة كالمعجمات وما إليها. وأفدت من كتب تفسير القرآن الكريم بحسب ما وقع منها تحت يدي، وكذلك كتب معاني القرآن. كما رجعت إلى قسم من كتب الحديث، لكي أخرج ما ورد في البحث من أحاديث لاسيما الكتب الصحيحة، مثل: صحيح البخاري، وصحيح مسلم، وغيرهما.

وأخذت من كتب السيرة التي تتحدث عن شخصية الرسول الأكرم ﷺ، وعلى رأسها سيرة ابن هشام. فضلاً عن كتب حديثة ألفت في هذا المجال وردت في هامش البحث، وانتهى البحث بخاتمة تضمنت النتائج التي توصل إليها البحث، ثم قائمة المصادر والمراجع التي اعتمد عليها البحث.

وإنني أدخلت نفسي مدخلاً صعباً حين خضت غمار هذا البحث، فشأن رسول الله ﷺ أعلى وأسمى، والتصدي لذلك يحتاج إلى وقت وجهد، لذا فإني أقر بتقصيري وعدم إيفائي الموضوع حقه، ولكن حسبي أني وقفت عند جوانب محددة، أرجو أن أكون قد وفقت في إبرازها. فإن أصبت فذلك من فضل ربي وعنايته، وإن كان غير ذلك فمن نفسي، ومن الله التوفيق فهو حسبنا ونعم الوكيل.

الأستاذ المساعد الدكتور

يونس حمش خلف محمد

التمهيد
الدلالة اللغوية للنبي والرسول

إن تحديد المصطلحات اللغوية يمكن أن يعد من المشكلات التي تواجه الباحث في الدراسات اللغوية. ولعل السبب في وجود مثل هذه الصعوبات، هو كون اللغة العربية من اللغات الحية، التي تشبه الكائن الحي من حيث التغير والنمو باستمرار، أو أن السبب في ذلك يرجع إلى تعدد اللهجات العربية التي تعيش في بيئات مختلفة. فالكلمة لا تحمل إلا دلالة واحدة في أصل وضعها اللغوي، بيد أن التطور يكسبها دلالات جديدة، وفق حتمية التطور الذي تتصف به اللغات الحية.

ومن هذه الألفاظ لفظتا النبي والرسول، اللتان تحملان دلالة محددة في أصل وضعهما اللغوي، ولتحديد الدلالة اللغوية لهاتين الكلمتين، وكذلك دلالتهما في الاصطلاح لا بد من متابعة ذلك في اللغة.

أ. دلالة النبي:

كلمة النبي ترجع إلى مادة نبأ، والأصل اللغوي لمادة (ن ب أ)، هو الإتيان من مكان إلى مكان، يقال للذي ينبأ من أرض إلى أرض نابيء، وسيل نابيء: أتى من بلد إلى بلد، ورجل نابيء مثله. ومن هذا القياس النبأ: الخبر: لأنه يأتي من مكان إلى مكان، والمنبيء هو المخبر[١]. ومن هذا المعنى أخذ النبي ؛ لأنه أنبأ عن الله تعالى[٢].

ويعرّف النبي: "بأنه من أوحي إليه بملك أو ألهم في قلبه، أو نبه بالرؤيا الصالحة" [٣]. فالنبي: إنسان من البشر أوحى الله تعالى إليه بشرع، ولكنه لم يكلف بالتبليغ" [٤].

---

(١) ينظر: المقاييس: ٩٧٣.

(٢) العين: ٩٣٣.

(٣) التعريفات: ١٣١.

(٤) النبوة والأنبياء: ١٧

ومن العرب من يهمز كلمة النبيء: على وزن (فعيل) مهموز فاشية، وقرئ بهما في القراءات السبعة[1]. وعلى الرغم من أن النبي على وزن (فعيل) إلا أنه يكون بمعنى فاعل لقوله تعالى: ﴿ نَبِّئْ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾﴿ الحجر: ٤٩﴾ أو يكون بمعنى المفعول، لقوله تعالى: ﴿ وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَٰجِهِۦ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِۦ وَأَظْهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُۥ وَأَعْرَضَ عَنۢ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِۦ قَالَتْ مَنْ أَنۢبَأَكَ هَٰذَا ۖ قَالَ نَبَّأَنِىَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴾ ﴿التحريم: ٣ ﴾ [2] . وفي ذلك مبالغة في النبأ الخبر؛ لأنه ينبئ عن الله تعالى.

ولما كانت الهمزة من الأصوات الشديدة في اللغة العربية، فإن اللغة تميل إلى التخفيف لاسيما في البيئة الحضرية، لذلك فإن قسماً من القبائل العربية قد مالت إلى تركه، وفي ذلك يقول سيبويه:" ليس أحد من العرب إلا ويقول: تنبأ مسيلمة بالهمز، غير أنهم تركوا الهمز في النبي، كما تركوه في الذرية والبرية والخابية إلا أهل مكة، فإنهم يهمزون هذه الأحرف، ولا يهمزون غيرها، ويخالفون العرب في ذلك، والهمز في النبيء لغة رديئة" [3].

وجاء الوصف بالرداءة لقلة استعمال هذه اللغة، فالقياس لا يمنع من ذلك، ألا ترى إلى قول رسول الله ﷺ، وقد قيل له: (يا نبيء الله، فقال له: لا تنبر باسمي فإنما أنا نبي الله)[4]. والمعنى الذي أراده الأعرابي حين خاطب رسول الله ﷺ، بقوله: (يا نبيء الله)، أي يا من خرج من مكة إلى المدينة، فأنكر الرسول ﷺ الهمز[5].

مما تقدم يتضح أن النبي يجوز فيه الهمز، كما يجوز تركه وهو الأكثر في لغة العرب، لأن علم اللغة الحديث يشير إلى أن اللغات تتطور وتسير في تطورها نحو التسهيل. وقد لاحظنا أن رسول الله ﷺ، أنكر على من يهمز. وكأن همز هذه الكلمة

---

(١) المصباح المنير:٥٩١/٢.

(٢) المفردات:٤٨٣.

(٣) الكتاب: ٥٥٥/٣.

(٤) النهاية في غريب الحديث: ٣/٥.

(٥) ينظر: الصحاح: ١٠١٤.

خاص في كل من ادعى النبوة فقط. وفي هذا المعنى قال سيبويه:" ليس أحد من العرب إلا ويقول: تنبأ مسيلمة بالهمز، غير أنهم تركوا الهمز في النبي" [١].

ب . دلالة الرسول

الرسول في اللغة مأخوذ من مادة رسل، والأصل في هذه المادة (ر س ل)، يدل على الانبعاث والامتداد. يقال: ناقة رسلة سهلة السير، ومن هذا المعنى جاءت كلمة الرسول المنبعث. وتصور منه تارة الرفق، فقيل: على رسلك إذا أمرته بالرفق، وتارة الانبعاث فاشتق منه الرسول[٢] . ومن ذلك يمكن تعريف الرسول في اللغة بأنه :"الذي يتابع أخبار الذي بعثه"[٣]. أو" هو الذي أمره المرسل بأداء الرسالة بالتسليم أو القبض" [٤].

والرسول على وزن (فعول) بمعنى مفعول، وسمي بذلك لأنه ذو رسالة يؤديها، من أرسلت رسولاً إذا بعثته برسالة كي يؤديها، ويجوز استعماله بلفظ واحد للمذكر والمؤنث والمجموع [٥].

أما في الاصطلاح: فيعرّف الرسول بأنه" إنسان بعثه الله إلى الخلق ليبلغ الأحكام"[٦]. أي أنه أوحي إليه بشرع ثم أمر بتبليغه. فالرسالة أعلى مرتبة من النبوة[٧].

ومن الناس من لا يفرق بين لفظ النبي والرسول، ويرى بأن الكلمتين مترادفتان، فإن الله تعالى خاطب نبينا محمداً ﷺ، مرة بالنبي، وبالرسول مرة أخرى. في حين يرى أبو هلال العسكري أن بين الكلمتين فروقاً منها:" أن النبي لا يكون إلا صاحب معجزة، وقد يكون الرسول رسولاً لغير الله تعالى، فلا يكون صاحب معجزة. والإنباء عن الشيء قد يكون من غير تحميل النبأ، والإرسال لا يكون إلا بتحميل. والنبوة يغلب

---

(١) اللسان: ٤٢١/٨.

(٢) ينظر: المقاييس: ٣٨٢.

(٣) اللسان: ١٤٢/٤.

(٤) التعريفات: ٦٤.

(٥) ينظر: المصباح المنير: ٢٢٦/١.

(٦) التعريفات: ٦٤.

(٧) النبوة والأنبياء: ١٧.

عليها الإضافة إلى النبي، فيقال: نبوة النبي ؛ لأنه يستحق منها الصفة، التي هي على طريقة الفاعل. والرسالة جملة من البيان يحملها القائم بها يؤديها إلى غيره. والنبوة تكليف القيام بالرسالة، فيجوز إبلاغ الرسالات، ولا يجوز إبلاغ النبوات" [١]. ويبدو أن بين الكلمتين صلة بالوحي الخاص، الذي فوق وحي النبوة، فالرسول أخص من النبي.

ومهما كان الاختلاف في كلمتي النبي والرسول، فإن هناك اتفاقاً بين العلماء على أن كل رسول نبي، وليس كل نبي رسولاً، وبهذا المعنى قال الفراء: " كل رسول نبي من غير عكس" [٢].

والله سبحانه وتعالى يصطفي من خلقه ما يشاء لحمل رسالته وتبليغها إلى الناس، وجعل الله تعالى النبّوة خاصة بالرجال. والحكمة من ذلك ؛ لأن النبوة عبء ثقيل وتكليف شاق لا تتحمله طبيعة المرأة. ولهذا السبب كان جميع الرسل في محنة قاسية مع أقوامهم. وسنتحدث عن شخصية خاتم الأنبياء والمرسلين محمد ﷺ، بشكل موجز وبسيط.

١ . حياته

أولاً . ولادته:

كانت ولادة نبينا محمد ﷺ، على الأرجح يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول عام الفيل [٣]. وفي اليوم السابع من ولادته سماه جده عبد المطلب محمداً، وهي تسمية أعانه عليها ملك كريم. ولم يكن العرب يألفون هذه الأعلام ؛ لذلك سألوه: لم رغب عن أسماء آبائه؟ فأجاب: أردت أن يحمده الله في السماء، وأن يحمده الخلق في الأرض. فكأن هذه الإرادة كانت استشفافاً للغيب، فإن أحداً من خلق الله لا يستحق الشكر والثناء على ما أدى، كما يستحق ذلك النبي المُحَمَّد ﷺ [٤].

---

(١) الفروق اللغوية:٢٨٥.

(٢) اللسان: ٤٢١/٨.

(٣) ينظر :السيرة النبوية:ابن هشام:٨٢/١، والبداية والنهاية:ابن كثير: ٢٦٠/١.

(٤) ينظر: فقه السيرة: الغزالي: ٦١.

وجاءت في القرآن الكريم قصة أصحاب الفيل؛ إذ سّمى الله تعالى إحدى سور القرآن الكريم باسم (سورة الفيل). "ويذكر أن قوماً من العرب كانوا ببلاد النجاشي، فأججوا ناراً استعملوها لبعض ما احتاجوا إليه، ثم رحلوا ولم يطفئوها، فحملتها الريح حتى أحرقت البيت الذي كان مصلاهم، ومثابة للنجاشي وأصحابه.فقصد مكة مُقَدِّراً أن يحرق البيت الحرام، ويستبيح أهل مكة. فلما قربوا من الحرم لم تسر بهم دوابهم نحو البيت، فإذا عطفوها راجعين سارت، فوعظهم الله أبلغ موعظة، فأقاموا على قصد البيت وعلى أن يحرقوه، فأرسل الله عليهم طيراً أبابيل"[١].

ومعنى (الأبابيل): أي جماعات، وهي صفة للطير، والسجيل الشديد. وقيل: حجر وطين. قال الخليل: " السجيل: حجارة كالمدر، وهو حجر وطين، ويفسر أنه معرب دخيل " [٢]. فالسجيل:أصولها فارسية، وهي مكونة من كلمتين، جعلتهما العرب كلمة واحدة، فهما: سَنْج وجَلٌّ، فالسنج: الحجر، والجلُّ: الطين [٣] . وفسرت هذه الكلمة في الصحاح :" بأنها حجارة من طين طبخت بنار جهنم، مكتوب عليها أسماء القوم، لقوله تعالى:﴿ لِنُرۡسِلَ عَلَيۡهِمۡ حِجَارَةٗ مِّن طِينٖ ٣٣ ﴾﴿ الذاريات: ٣٣﴾ " [٤] .

وكانت طيراً خرجت من البحر خضراً طوال الأعناق، قال ابن عباس ﷺ :" إذا أرسل الله تعالى على قوم عذاباً لم يفلتهم، فما أفلت منهم إلا سائس الفيل أو قائده، فقيل: ما وراءك؟ فقال: أتت طير مثل هذا، وأشار إلى طائر في الهواء. وكان الطائر قد اتبعه بحجر فأرسله عليه فقتله" [٥]. "وبذلك الجيش السماوي أهلك ذلك الجيش الأرضي بدون أن يتصوره أحد، ومعنى ذلك أن الله تعالى إذا أراد صيانة شيء حفظه، وهو على الله سهل يسير"[٦].

---

(١) معاني القرآن وإعرابه: ٢٧٨/٥.

(٢) العين:٤١١، وينظر: المفردات:٢٣٠.

(٣) ينظر: السيرة النبوية: ابن هشام:٣٠/١.

(٤) الصحاح:٤٧٧، والجامع لأحكام القرآن:٤٢٦/٢٠.

(٥) إعراب ثلاثين سورة: ٢٠٨.

(٦) مواهب الرحمن: ٥٦٤/٧.

ويعد هذا من فضل الله تعالى على أمة العرب، فلما بعث الله تعالى سيدنا محمداً ﷺ، كان مما يعد الله على قريش من نعمته عليهم وفضله، ما ورد من أمر الحبشة لبقاء أمرهم ومدتهم. ومنذ ذلك الحين أعظمت العرب قريشاً، وقالوا: هم أهل الله، قاتل عنهم وكفاهم مؤنة عدوهم. فقالوا في ذلك أشعاراً يذكرون فيها ما صنع الله بالحبشة، وما رد عن قريش من كيدهم[١].

ثانياً . وفاته

توفي رسول الله ﷺ يوم الاثنين في الثاني عشر من شهر ربيع الأول سنة إحدى عشرة للهجرة، وكان عمره ثلاثاً وستين سنة وزيادة أربعة أيام [٢]. قال أنس بن مالك ﷺ:" لما كان يوم الاثنين الذي قبض الله فيه رسوله الأكرم ﷺ، خرج إلى الناس وهم يصلون الصبح، فرفع الستر وفتح الباب، فخرج رسول الله ﷺ، فقام على باب عائشة، فكاد المسلمون يفتنون في صلاتهم برسول الله ﷺ حين رأوه فرحاً به"[٣].

وعندما مات رسول الله ﷺ، روى أبو هريرة ﷺ أن أبا بكر الصديق ﷺ، ألقى خطبته المشهورة، التي حمد الله تعالى فيها وأثنى عليه، ثم قال : أيها الناس إنه من كان منكم يعبد محمداً ﷺ فإن محمداً قد مات، ومن كان منكم يعبد الله فإن الله حيٌّ لا يموت. قال: ثم تلا هذه الآية :﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ ﴾ آل عمران: ١٤٤ . قال: فوالله لكأنَّ الناس، لم يعلموا أن هذه الآية نزلت حتى تلاها أبو بكر ﷺ يومئذ؛ قال: وأخذها الناس عن أبي بكر ﷺ، فإنما هي في أفواههم فما أسمع بشراً من الناس إلا يتلوها [٤]. وفي رواية أخرى عن ابن عباس ﷺ، أن علياً كرم الله وجهه، كان يقول في حياة رسول الله ﷺ :" ﴿ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ ۚ ﴾، والله لا ننقلب على أعقابنا بعد إذ هدانا، والله لئن مات

---

(١) ينظر: السيرة النبوية: ابن هشام: ٣٢.٣١/١.

(٢) ينظر :صحيح البخاري:٣٨٨/٢، والبداية والنهاية:ابن كثير:٢٦٠/١، والرحيق المختوم: ٤٤٨.

(٣) السيرة النبوية: ابن هشام: ١٦٧/٤.

(٤) ينظر: السيرة النبوية: ابن هشام: ١٦٩/٤، وصحيح البخاري:١٢١/٣.

أو قتل لأقاتلن على ما قاتل عليه حتى أموت، والله إني لأخوه ووليه وابن عمه ووارثه فمن أحق به مني" [1].

٢ . الدلالة اللغوية لاسمه:

عُرِفَ رسول الله ﷺ، بكثرة أسمائه وصفاته، وفي هذا دليل على أهميته ومكانته بين الناس. والاسم الذي اشتهر به هو محمد، الذي يرجع إلى مادة (ح م د)، ولهذه المادة أصل واحد يدل على خلاف الذم، يقال: حمدت فلاناً أحمده، ورجل محمود ومحمد إذا كثرت خصاله المحمودة غير المذمومة، قال الأعشى في مدح النعمان بن المنذر:

يـكَ أَيـتَ اللَّـعْـنَ كَـأَنَّ هِلَالَـهَ ـا إِلَـى الَماجِـدِ الفَـرْعِ الجَـوَادِ الُمَحَمَّـدِ[2]

ولهذا الذي ذكرناه سمي نبينا محمداً ﷺ بهذا الاسم[3].

([1]) تفسير القرآن العظيم: ٢/٧٧.

([2]) الديوان: ٧١.

([3]) المقاييس: ٢٦٢.

فمحمد مأخوذ من الحمد بمعنى المدح والثناء، والحمد الثناء بالفضيلة، وهو أخص من المدح وأعم من الشكر[1]. ومن هذه المادة أخذ اسم أحمد أيضاً،" وهو من أسماء المصطفى رسول الله ﷺ وقد سمي محمداً، وأحمد، وحامداً، وحماداً، وحميداً "[2]، وكل هذه الأسماء مشتقة من هذه المادة نفسها.

ولعل الخليل يشير إلى ما ورد في القرآن الكريم حين قال: " خمسة من الأنبياء ذوو اسمين: أحمد ومحمد ﷺ، وعيسى والمسيح، وذو الكفل والياس، وإسرائيل ويعقوب، ويونس وذو النون، عليهم السلام وعلى غيرهم من الأنبياء" [3].

واسم نبينا محمد ﷺ، جاء على وزن (مفعّل) وهي صيغة مبالغة تدل على كثرة الحمد وزيادته. وقد ورد هذا الاسم في أربعة مواضع من القرآن الكريم في حين ورد اسم أحمد في موضع واحد منه. وأحمد على وزن (أفعل) وهو اسم تفضيل يعني أنه أحمد من غيره. فالمسيح عليه السلام بشر بالرسول محمد ﷺ، في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾الصف: ٦ ." فأحمد إشارة إلى أن النبي ﷺ، باسمه وفعله تنبيهاً أنه كما وجد اسمه أحمد، يوجد وهو محمود في أخلاقه وأحواله، وخص لفظة أحمد فيما بشر به عيسى عليه السلام، تنبيهاً أنه أحمد منه ومن الذين قبله" [4].

ومن عجائب خصائص هذين الاسمين، هو أن الله عز وجل حمى أن يسمى بهما أحد قبل زمانه، أما أحمد الذي أتى في الكتب، وبشرت به الأنبياء فمنع الله تعالى بحكمته أن يسمى به غيره. وكذلك محمد أيضاً لم يسم به أحد من العرب، ولا غيرهم إلى أن شاع قبيل وجوده وميلاده ﷺ [5].

---

(1) المفردات: ١٣٨.

(2) اللسان: ٢/٥٨٥.

(3) العين: ٢١١.

(4) المفردات: ١٣٨.

(5) ينظر: الشفا بتعريف حقوق المصطفى: ١/ ١٤٥.

وعّبر القرآن الكريم بأسلوب القصر عن النبي محمد ﷺ، بأنه أحد الرسل الذين خصهم الله تعالى بالرسالة، جاء ذلك في قوله تعالى: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾آل عمران: ١٤٤ . فمحمد ههنا وإن كان من وجه اسماً له علماً ، ففيه إشارة إلى وصفه بذلك وتخصيصه بمعناه، كما جاء في قوله عزّ وجلّ : ﴿ يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا ﴾ ﴿ مريم: ٧ ﴾، أنه على معنى الحياة [١].

وتشير هذه الآية:(١٤٤) من سورة (آل عمران) إلى معركة أحد، حيث قتل كثير من المسلمين واعتقدوا أن رسول الله ﷺ، قد قتل يوم أحد، وجوزوا ذلك عليه، كما قد قص الله عن كثير من الأنبياء عليهم السلام. وجاء عن عمر بن الخطاب ﷺ، أنه قال:" تفرقنا عن رسول الله ﷺ، يوم أحد فسمعت يهود تقول: قتل محمد، فقلت لا أسمع أحداً يقول ذلك إلا ضربت عنقه، فنظرت فإذا رسول الله ﷺ، والناس حوله يتراجعون إليه فنزلت هذه الآية" [٢].

وجاء اسم محمد في موضع آخر من القران الكريم في قوله تعالى: ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴾ ﴿ الأحزاب: ٤٠ ﴾ . والسبب في نزول هذه الآية، "هو أنه لما تزوج النبي ﷺ، زينب، قالوا: تزوج حليلة ابنه، فأنزل الله هذه الآية التي تنهى أن يقال: زيد بن محمد، أي لم يكن أباه وإن كان قد تبناه، ولو كان له ولد بالغ مبلغ الرجال لكان نبياً "[٣].

وذكر اسم نبينا (محمد) ﷺ، في (سورة محمد)، التي سميت باسمه في قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَءَامَنُوا۟ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۙ كَفَّرَ عَنْهُمْ

---

(١) ينظر: بصائر ذوي التمييز: ٢/ ٥٠.

(٢) أسباب النزول: الواحدي: ٦٩.

(٣) الكشاف: ٨٥٨.

سَيِّـَٔاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ﴾﴿ محمد: ٢﴾. وجاء التعبير القرآني في هذه الآية من باب عطف الخاص على العام، وهو دليل على أنه شرط في صحة الإيمان.

والموضع الأخير الذي ورد فيه اسم نبينا محمد ﷺ، هو في قوله تعالى: ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴾ ﴿الفتح: ٢٩ ﴾. يخبر الله تعالى عن محمد ﷺ، أنه رسوله بلا ريب، ثم أثنى على أصحابه. فجاءت هذه الآية صورة عجيبة، رسمها القرآن الكريم بأسلوبه البديع، صورة مؤلفة من عدة لقطات، لأبرز حالات هذه الجماعة المختارة[1]. وكل هذه النعوت الجليلة والأوصاف الجميلة، إنما حدثت لهم من الله سبحانه وتعالى، "ويستفاد من الآية الكريمة أن الغائظ لهم كافر بيقين، وأن المغتبط بهم مؤمن أمين" [2].

٣ . قصة نزول الوحي

لما بلغ رسول الله ﷺ، الأربعين من عمره نزل عليه الوحي في غار حراء، وحراء جبل يقع في الشمال الغربي من مكة، وكان الرسول ﷺ، يخلو ويتعبد الليالي الطوال. قالت عائشة رضي الله عنها: (أول ما بدئ به رسول الله ﷺ، من الوحي الرؤيا الصادقة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، فكان يأتي حراء، فيتحنث فيه وهو التعبد الليالي ذوات العدد، ويتزود لذلك ثم يرجع إلى خديجة فتزوده لمثلها، حتى فَجِئَه الحق وهو في غار حراء، فجاءه الملك فيه، فقال: اقرأ، فقال له النبي ﷺ : ما أنا بقاري، ويتكرر الطلب والرد، لتنساب بعده الآيات الأولى من

([1]) ينظر: في ظلال القرآن: ٦/٣٣٣١.

([2]) مواهب الرحمن: ٧/١٦٣.

القــرآن الكــريم، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ۝٢ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ۝٣ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ ۝٥ ﴾ ﴿ العلق: ١ . ٥ ﴾ [١].

وجاء عن ابن عباس ﷺ أنه قال عن هذه السورة: هي أول ما نزلت[٢]. وجاء في التفسير أن أول آية نزلت من القرآن: ﴿ ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ﴾ [٣]. وتتابع الوحي إلى رسول الله ﷺ، وهو مؤمن بالله مصدق بما جاءه منه، قد قبله بقبوله، وتحمل منه ما حمله على رضا العباد وسخطهم. والنبوة أثقال ومؤنة لا يحملها ولا يستطيع بها إلا أهل القوة والعزم من الرسل بعون الله تعالى وتوفيقه، لما يلقون من الناس وما يرد عليهم مما جاؤوا به عن الله سبحانه وتعالى [٤].

وكان رسول الله ﷺ أمياً، وليس من الممكن أن يعلم إنسان بواسطة المكاشفة النفسية حقائق تاريخية ومسائل غيبية، كقصة يوسف عليه السلام، وأم موسى حينما ألقت وليدها في اليم وقصة فرعون وغيرها، ولقد كان هذا من جملة الحكم في كونه ﷺ أمياً، قال تعالى: ﴿ وَمَا كُنتَ تَتۡلُواْ مِن قَبۡلِهِۦ مِن كِتَٰبٖ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَۖ إِذٗا لَّٱرۡتَابَ ٱلۡمُبۡطِلُونَ ﴾ ﴿ العنكبوت: ٤٨ ﴾[٥] . لقد لبثت في قومك يا محمد من قبل أن تأتي بهذا القرآن عمراً، لا تقرأ كتاباً ولا تحسن الكتابة، بل كل فرد من قومك وغيرهم يعرف أنك رجل أمي لا تقرأ ولا تكتب. وهكذا صفته في الكتب المتقدمة، كما قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلۡأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكۡتُوبًا عِندَهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ يَأۡمُرُهُم بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَىٰهُمۡ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ

---

(١) صحيح البخاري: ٤/٢٩٥.

(٢) الكشاف: ١٢١٢.

(٣) معاني القرآن وإعرابه: ٥/٢٦٣.

(٤) ينظر: السيرة النبوية: ابن هشام: ١/١٢١.

(٥) ينظر: فقه السيرة: البوطي: ٥٩.

عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ الأعراف: ١٥٧ ﴾ [1].

ومما له صلة بالوحي هو نزول القرآن: قال ابن اسحق: ابتديء رسول الله ﷺ، بالتنزيل في شهر رمضان بقوله عز وجل: ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾البقرة: ١٨٥.

وقال سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴾﴿ القدر: ١ ﴾، وقال سبحانه تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ ۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ﴾﴿ الدخان: ٣ ﴾. دلت هذه الآيات على أن القرآن أنزل في ليلة واحدة، وهي من ليالي شهر رمضان [2].

والسر في إنزاله جملة واحدة إلى السماء الدنيا من اللوح المحفوظ : هو تفخيم أمره وأمر من نزل عليه، وذلك بإعلام سكان السماوات السبع: أن هذا آخر الكتب المنزلة على خاتم الرسل لأشرف الأمم، قد قربناه إليهم لننزله عليهم، ولولا أن الحكمة الإلهية اقتضت وصوله إليهم منجماً بحسب الوقائع لهبط به إلى الأرض جملة، كسائر الكتب المنزلة قبله، ولكن الله تعالى باين بينه وبينها، فجعل له الأمرين: أنزله جملة، ثم إنزاله مفرقاً تشريفاً للمنزل عليه[3].

٤ . مشهد الإسراء والمعراج ودلالاته

أسري برسول الله ﷺ من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، وهو بيت المقدس، وقد سمى القرآن الكريم إحدى سوره:(سورة الإسراء)، بهذا الاسم الذي وردت فيه قصة الإسراء. ويشير القرآن الكريم إلى هذه الرحلة بقوله تعالى: ﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ

([1]) تفسير القرآن العظيم: ١١٩/٦.

([2]) مناهل العرفان: ١/ ٣٧.

([3]) ينظر: الإتقان: ١/ ١٢٨.

ءَايَٰتِنَآۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴾﴿ الإسراء: ١﴾. والإسراء: سير الليل، قال الخليل:" كل شيء طرق ليلاً فهو سارٍ، وسرى وأسرى لغتان، وقرىء: ﴿ سَرَى بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلاً ﴾ وسرى به، وأَسرَى به سواء " [١].

ومن هناك عرج بالرسول ﷺ إلى طبقات السماوات العلا، وإلى حيث شاء الله تعالى، وكان الإسراء والمعراج في مكة قبل الهجرة بسنة، وأكدت السنة النبوية خبر الإسراء والمعراج [٢].

والمعراج مأخوذ من مادة عرج يعرج أي صعد، والمعرج الطريق الذي تصعد فيه الملائكة، والمعراج: شبه سلم أو درج تعرج الأرواح فيه إذا قبضت. يقال ليس شيء أحسن منه، إذا رآه الروح لم يتمالك أن يخرج [٣]. وسميت ليلة المعراج بهذا الاسم:" لصعود الدعاء فيها، إشارة إلى قوله تعالى: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ جَمِيعًاۚ إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرۡفَعُهُۥۚ وَٱلَّذِينَ يَمۡكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٞۖ وَمَكۡرُ أُوْلَٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ ﴾﴿ فاطر: ١٠﴾ . ولعروج النبي ﷺ فيها. ويقال: الشرف بعيد المدارج، رفيع المعارج. ومررت به فما عرجت عليه: ما ألممت، وما لي عليه عُوْجة " [٤].

وبزغ نور الفجر والمصطفى حيث تركه أصحابه بعد صلاة العشاء، وقام عليه الصلاة والسلام فصلى بمن معه، ثم جلس فيهم يحدثهم أنه قد أسري به في ليلته تلك. واشرأبت إليه قلوبهم وشدت أسماعهم إلى حديث الإسراء، ولو استطاعوا لأمسكوا أنفاسهم المبهورة، لكي يخلص إليهم صوت نبيهم في أنقى صفائه وتفرده وبهائه[٥].

---

(١) العين: ٢٢٤.

(٢) ينظر :السيرة النبوية:ابن هشام:٢٦/٢، وصحيح البخاري:١/٩٣. باب كيف فرضت الصلاة في الإسراء؟، وصحيح مسلم:٩٤. باب الإسراء برسول الله ﷺ إلى السماوات وفرض الصلوات، والمستفاد من قصص القرآن: ٩٠/١.

(٣) ينظر: العين: ٦١٧.

(٤) بصائر ذوي التمييز: ٤١/٤.

(٥) ينظر: مع المصطفى: ١٣٢.

وفي الاقتران الزمني بين إسرائه عليه الصلاة والسلام، إلى بيت المقدس والعروج إلى السماوات السبع، لدلالة باهرة على مدى ما لهذا البيت من مكانة وقدسية عند الله تعالى، وفيه دلالة واضحة أيضاً على العلاقة الوثيقة بين ما بعث به كل من عيسى بن مريم ومحمد بن عبدالله عليهما الصلاة السلام، وعلى ما بين الأنبياء من رابطة الدين الذي ابتعثهم الله عز وجل به[1]. وفي قصة الإسراء والمعراج إظهار لمنزلة نبينا محمد ﷺ، وهي منزلة عظيمة لا تدانيها منزلة أي رسول قبله. ولا عجب في ذلك فالله تعالى فضل بعض رسله على بعض، كما نطق القرآن بذلك.

٥ . أخلاقه وشمائله

كان رسول الله ﷺ يتصف بصفات كثيرة، ويتمتع بأخلاق عظيمة، ولا غرو في ذلك فإن القرآن الكريم يصور ذلك في عدة مواضع منه، وتوجها في قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ القلم: ٤ ﴾. وجاء في تفسير هذه الآية عدة أقوال منها، قيل: "على الإسلام، وقيل: على القرآن، والمعنى: أنت على الخلق الذي أمرك الله به في القرآن" [2]. وعن عائشة رضي الله عنها أن سعيد بن هشام سألها عن خلق رسول الله ﷺ، فقالت:(ألست تقرأ القرآن؟ فقلت: بلى. قالت: فإن خلق نبي الله ﷺ، كان القرآن) [3].

وحرف الجر(على) معناه : " استعلاء الشيء، تقول : هذا على ظهر الجبل وعلى رأسه " [4]. " فدل اللفظ على أنه مستعمل على هذه الأخلاق ومستول عليها، وأنه بالنسبة إلى هذه الأخلاق الجميلة كالمولى بالنسبة للعبد وكالأمير بالنسبة للمأمور" [5].

ومن شمائله العطرة وأخلاقه الفاضلة، ما ورد في الصحيحين عن أنس ﷺ، أنه قال: (خدمت رسول الله ﷺ عشر سنين، فما قال لي: أف قط، ولا قال لشيء فعلته لم

---

(1) ينظر: فقه السيرة: البوطي: ١٠٩.

(2) معاني القرآن وإعرابه: ١٥٩/٥.

(3) صحيح مسلم: ٣٤٠.

(4) اللسان: ٤٢٥/٦.

(5) التفسير الكبير: ٧٤/٣.

فعلته؟ ولا لشيء لم أفعله: ألا فعلته. وكان ﷺ أحسن الناس خلقاً، ولا مسست خزاً ولا حريراً ولا شيئاً كان ألين من كف رسول الله ﷺ ولا شممت مسكاً ولا عطراً كان أطيب من عَرْفِ رسول الله ﷺ) [1].

وأخلاق رسول الله ﷺ طبيعية، إذ كان مجبولاً عليها في أصل خلقته وأول فطرته، لم تحصل له باكتساب ولا رياضة إلا بجود إلهي وخصوصية ربانية، وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : بأبي أنت وأمي يا رسول الله، لقد دعا نوح عليه السلام على قومه فقال تعالى: ﴿ وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴾ نوح: ٢٦ ﴾، ولو دعوت علينا مثلها لهلكنا، فلقد وطئ ظهرك وأدمي وجهك وكسرت رباعيتك، فأبيت أن تقول إلا خيراً، فقلت: اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون. وفي هذا القول من حسن الخلق، وكرم النفس، وغاية الصبر والحلم. ولما تصدى غورث بن الحارث ليقتل رسول الله ﷺ وهو منتبذ تحت شجرة وحده قائلاً والناس قائلون في غزاة، فلم ينتبه رسول الله ﷺ إلا وهو قائم والسيف مسلولاً في يده، فقال: من يمنعك مني؟ فقال: الله، فسقط السيف من يده، فأخذه النبي ﷺ، وقال: من يمنعك مني؟ قال: كن خير آخذ، فتركه وعفا عنه، فجاء إلى قومه، فقال: جئتكم من عند خير الناس. فأسلم غورث وصحب النبي ﷺ بعد ذلك [2].

وإن مقام النبوة يستحق مثل هذا الوصف الجميل في هذه الآية الكريمة، إذ تتجاوب أرجاء الوجود بهذا الثناء الفريد على النبي الكريم، ويثبت هذا الثناء العلوي في صميم الوجود، ويعجز كل قلم، ويعجز كل تصور عن وصف قيمة هذه الكلمة العظيمة من رب الوجود، وهي شهادة من الله سبحانه وتعالى في ميزان الله لعبدالله، يقول له فيها: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ القلم: ٤ ﴾. ومدلول الخلق العظيم: هو ما هو عند الله عز وجل، مما لا يبلغ إلى إدراك مداه أحد من العالمين [3].

([1]) صحيح البخاري: ٣٩١/٢، وصحيح مسلم: ١١٦٢.

([2]) ينظر: الشفا بتعريف حقوق المصطفى: ٧٣/١.

([3]) ينظر: في ظلال القرآن: ٣٦٥٦/٦.

ونبينا محمد ﷺ كان رمزاً لكل فضيلة، كرس حياته للدعوة في سبيل الله تعالى، فلاقى من صنوف العذاب ما لا يطيقه أحد سواه، الذي تخاطبه عائشة رضي الله عنها، فتقول: لو تبلغت من الدنيا بما يقوتك، فيقول: يا عائشة مالي وللدنيا؟ إخواني من أُولي العزم من الرسل صبروا على ما هو أشد من هذا، فمضوا على حالهم فقدموا على ربهم فأكرمهم الله وأجزل ثوابهم، فأستحي إن ترفهت في معيشتي أن يقصر بي غداً دونهم، وما من شيء أحب إلي من اللحوق بإخواني وإخلائي، قالت: فما أقام بعد ذلك شهراً حتى توفي رسول الله ﷺ [1]. بهذه الخلال الطيبة استحق أن يرفعه الله تعالى الدرجات العلا من الجنة، وأن يبعثه المقام المحمود.

٦ . مكانته بين الأنبياء والرسل

رسول الله ﷺ عظيم في كل شيء، متميز في كل مجالات الحياة، إذ يعد بحق نموذجاً للإنسان الكامل والنبي المرسل. ومما يشير إلى أن الرسول ﷺ، هو أفضل الرسل الكرام وأشرفهم ؛ وذلك لأن الله سبحانه وتعالى قد خاطب الرسل جميعهم وناداهم بأسمائهم. فقال عز من قائل في شأن إبراهيم عليه السلام : ﴿ وَنَٰدَيۡنَٰهُ أَن يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ ١٠٤ قَدۡ صَدَّقۡتَ ٱلرُّءۡيَآۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾﴿ الصافات: ١٠٤- ١٠٥﴾. وقال تعالى في حق نوح عليه السلام : ﴿ قِيلَ يَٰنُوحُ ٱهۡبِطۡ بِسَلَٰمٖ مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ عَلَيۡكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٖ مِّمَّن مَّعَكَۚ وَأُمَمٞ سَنُمَتِّعُهُمۡ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٞ ٤٨ ﴾﴿ هود: ٤٨﴾ . وقال تعالى في نداء موسى عليه السلام : ﴿ وَأَلۡقِ عَصَاكَۚ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهۡتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنّٞ وَلَّىٰ مُدۡبِرٗا وَلَمۡ يُعَقِّبۡۚ يَٰمُوسَىٰ لَا تَخَفۡ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ ٱلۡمُرۡسَلُونَ ١٠ ﴾﴿ النمل: ١٠﴾. وقال تعالى مخاطباً عيسى بن مريم عليه السلام: ﴿ إِذۡ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوۡقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِۖ ثُمَّ إِلَيَّ مَرۡجِعُكُمۡ فَأَحۡكُمُ بَيۡنَكُمۡ فِيمَا كُنتُمۡ فِيهِ تَخۡتَلِفُونَ ﴾﴿ آل عمران: ٥٥﴾.

([1]) الشفا بتعريف حقوق المصطفى: ٩٥/١.

وهكذا بقية الأنبياء عليهم السلام ناداهم بأسمائهم التي سموا بها، إلا خاتم الرسل ﷺ. فلم يقع في القرآن الكريم الخطاب بيا محمد ﷺ، بل خاطبه الله تعالى: يا أيها النبي، يا أيها الرسول، يا أيها المزمل، يا أيها المدثر، وهذا من ألطف الإشارات إلى عظيم قدره، وإلى أنه أفضل الرسل على الإطلاق [1].

وأطلق القرآن الكريم صفات مشتركة بين ما وصف الله تعالى به الذات الإلهية، وما وصف به رسول الله ﷺ، وهي من أسماء الله تعالى الحسنى، مثل: الهادي، الرؤوف، الرحيم وغيرها، ومن ذلك ما ورد في قوله تعالى: ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾﴿ التوبة: ١٢٨﴾. فلم يجمع الله اسمين من أسمائه الحسنى لأحد غير رسول الله ﷺ، في قوله تعالى: ﴿ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾[2]. وهذا تشريف لم يهبه الله سبحانه وتعالى لأحد من عباده سوى أكرم خلقه وأشرف رسله [3].

وبين الله تعالى فضل نبيه ﷺ، بصلاته عليه ثم بصلاة ملائكته، وأمر عباده بالصلاة والتسليم عليه، في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴾﴿ الأحزاب: ٥٦﴾. فصلاة الله تعالى: ثناؤه عليه عند الملائكة، وصلاة الملائكة الدعاء له [4]. وعن معنى الصلاة قال الأخفش: "فصلاة الناس عليه دعاؤهم له، وصلاة الله عز وجل إشاعة الخير عنه" [5].

ومما أخبر الله تعالى في كتابه العزيز من عظيم قدره ﷺ، وشريف منزلته على الأنبياء ما جاء في آي الذكر الحكيم، قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَۖ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ﴾

---

(1) ينظر: الشفا بتعريف حقوق المصطفى: ٢٨/١، والإتقان: ٦٣/٣.

(2) ينظر: الكشاف: ٤٥٥.

(3) أولو العزم من الرسل: ٨٢.

(4) ينظر: صحيح البخاري: ٢٤٢/٣، والتفسير القيم: ٢٦٣.

(5) معاني القرآن: ٢٦٩.

﴿الأحزاب:٧﴾. خص الله تعالى محمداً ﷺ، بفضل لم يؤته أحداً غيره . ومما يوضح ذلك ما روي عن عمر بن الخطاب ﷺ، أنه قال: "بأبي أنت وأمي يا رسول الله، لقد بلغ من فضيلتك عند الله أن بعثك آخر الأنبياء، وذكرك في أولهم" [١].

وجاءت هذه الآية من باب عطف الخاص على العام. " وإنما خص هؤلاء الخمسة وإن دخلوا في زمرة النبيين تفضلاً لهم، فهم أولو العزم من الرسل وأئمة الأمم"[٢]. ولم يعط أحد من الأنبياء فضيلة أو كرامة إلا وقد أعطي رسول الله ﷺ مثلها.

ومما يشير إلى مكانته بين الأنبياء والرسل، ما جاء في تخصيصه بالشفاعة والمقام المحمود، الذي تتحدث عنه آية الإسراء في قوله عز من قائل: ﴿ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ﴾﴿ الإسراء: ٧٩﴾. وعن المقام المحمود، قال ابن عباس ﷺ: "مقام يحمدك فيه الأولون والآخرون، وتشرف فيه على جميع الخلائق، تسأل فتعطى، وتشفع، فتشفع، ليس أحد إلا تحت لوائك" [٣]. وأجمع المفسرون على أنه مقام الشفاعة، كما قال النبي ﷺ في هذه الآية: (هو المقام الذي أشفع فيه لأمتي)[٤]. "لأن الإنسان إنما يصير محموداً إذا حمده حامد، والحمد إنما يكون على الإنعام، فهذا المقام المحمود يجب أن يكون مقاماً، أنعم رسول الله ﷺ، فيه على قوم فحمدوه على ذلك الإنعام، وما ذاك إلا شفاعته عند الله تعالى"[٥].

وإلى ذلك يشير الحديث الذي رواه ابن عمر ﷺ، إذ يقول: (إنَّ الناسَ يَصِيرُونَ يومَ القيامةِ جُثاً كُلُّ أُمَّةٍ تتبعُ نبيَّها، يقولونَ: يا فلانُ اشفعْ! يا فلانُ اشفعْ! حتى تنتهي الشفاعةُ إلى النبيِّ ﷺفذلكَ يومَ يبعثُهُ اللهُ المقامَ المحمودَ) [٦].

---

(١) الشفا بتعريف حقوق المصطفى: ٣٦/١.

(٢) الجامع لأحكام القرآن:٤٣٩/١٤.

(٣) الكشاف: ٦٠٦.

(٤) مسند أحمد: ٤٤١/٢.

(٥) التفسير الكبير: ٢٨/٢١.

(٦) صحيح البخاري: ٢٠٦/٣.

مما تقدم يتضح أن الذي صحت به الرواية والأخبار في المقام المحمود هو أنه الشفاعة[١]. ففي الحديث الذي رواه أبو هريرة، قال رسول الله حديث رسول الله ﷺ: (أنا سيد ولد آدم يوم القيامة، وأول من ينشق عنه القبر، وأول شافع وأول مشفع)[٢]. فرسول الله ﷺ، فضله الله تعالى على جميع الخلائق، بما فيه إخوانه من الأنبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

٧ . الدلالة اللغوية لخاتم النبيين

محمد رسول الله ﷺ آخر الأنبياء والمرسلين من أولي العزم، ختم الله تعالى به الرسالات السماوية، كما ختم بالقرآن الكريم الكتب السماوية. فهو سيد الأولين والآخرين، وسيد الأنبياء والمرسلين، كما أنه يعد من أشهر الشخصيات البشرية، التي أثرت في تاريخ الإنسانية.

ومما وصف به رسول الله ﷺ، أنه خاتم الأنبياء والمرسلين. والأصل في هذه المادة (خ ت م)، هو دلالتها على بلوغ آخر الشيء. يقال ختم الشيء يختمه ختماً إذا بلغ آخره، وختم الله له بخير، وخاتمة السورة آخرها. وختم فلان القرآن إذا قرأه إلى آخره، واختتمت الشيء: نقيض افتتحته. ومن هذا الباب الختم بمعنى الطبع ؛ لأن الطبع على الشيء لا يكون إلا بعد بلوغ آخره [٣]. والختام: الطين الذي يختم به على الكتاب، وهو ما جاء في قول الأعشى:

صَهْبَاءَ طَافَ بِهَا وَدِيُّهَا أُبُزَهَا وَعَلَيْهَا خَتْمٌ [٤]

أي عليها طينة مختومة، مثل: نقض بمعنى منقوض، وقبض بمعنى مقبوض.

وفي هذه المادة عدة لغات هي الخاتِم والخاتَم، بكسر التاء وفتحها، والختم والخاتام والخيتام كلها بمعنى واحد، وهي من الحلي كأنه لأول وهلة ختم به فدخل في

---

(١) ينظر: معاني القرآن وإعرابه: ٣/٢١٠.

(٢) صحيح مسلم: ١١٤٩.

(٣) ينظر: المقاييس: ٣٢٤.

(٤) الديوان: ١٨٧.

باب الطابع، ثم كثر استعماله لذلك، وإن أعد الخاتم لغير الطبع [1]. وتجمع هذه المادة على خواتم وخواتيم، وأنشد الزجاج:

الخَلِيفَـــــةَ إِنَّ اللهَ سَـــــرْبَلَـه سِرْبَالَ مُلْكٍ بِـهِ تُزْجَـى الخَوَاتِيم [2]

وختام كل مشروب آخره، وفي التنزيل العزيز، قال تعالى عن شراب أهل الجنة: ﴿ خِتَٰمُهُۥ مِسْكٌۚ وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ ﴾ المطففين: ٢٦. أي آخره؛ لأن آخر ما يجدونه رائحة المسك. وفي هذه الآية عدة أقوال منها: قال ابن مسعود:أي خَلْطُه مسك، إذ يوجد في آخره طعم المسك ورائحته. ويقال للعطار إذا اشتري منه الطيب: اجعل خاتمه المسك. وقال مجاهد: معناه طيبه مسك، وهو قريب من القول الأول. وقال ابن مسعود أيضاً : عاقبته طعم المسك، فإن أحدهم إذا شرب وجد آخر الكأس ريح المسك[3].

وجاءت هذه الآية في وصف شراب أهل الجنة، بأن رائحة آخره رائحة المسك. وهو شراب أبيض مثل الفضة، يختمون به آخر أشربتهم. ولو أن رجلاً من أهل الدنيا أدخل يده فيه ثم أخرجها، لم يبق ذو روح إلا وجد ريح طيبها [4].

ويعد رسولنا الكريم محمد ﷺ، آخر الأنبياء بعثة، وبه اختتمت الرسالات السماوية، وجاء في محكم التنزيل أنه خاتم النبيين، إذ وصفه الله تعالى بهذه الصفة في آية واحدة من سورة الأحزاب في قوله تعالى: ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴾ الأحزاب: ٤٠. " قرأ عاصم (خاتم) بفتح التاء والباقون بكسرها " [5]. " فمن قرأ بفتح التاء، فمعناه آخر النبيين، ومن كسر التاء فمعناه ختم النبيين" [6]. "والحجة لمن كسر :أنه أراد اسم الفاعل. ودليله قراءة عبدالله بن مسعود: (وخَتَم النبيين). وأما من فتح: فإنه أخذه من

---

(1) ينظر: الصحاح: ٢٨٧.

(2) اللسان: ٢٥/٣.

(3) ينظر: تفسير غريب القرآن: السجستاني: ١٨٧، واللسان: ٢٥/٣.

(٤) ينظر:الجامع لأحكام القرآن:٢٢٠/١٩.

(5) النشر في القراءات العشر:ابن الجزري:٢٦١/٢، وتقريب النشر في القراءات العشر: ٢٣٥.

(6) معاني القرآن وإعرابه: ١٧٤/٤.

الخاتم الملبوس لأنه جمال" [1] . وعن ابن عباس ﷺ، أنه قال: "ختم الله به النبيين قبله، فلا يكون نبي بعده" [2] .

ففي هذه الآية إشارة إلى أن نبينا الكريم ﷺ، هو خاتم الأنبياء، فلا نبي بعده، وإذا كان لا نبي بعده، فمن باب أولى لا رسول بعده ؛ لأن مقام الرسالة أخص من مقام النبوة، فإن كل رسول نبي وليس كل نبي رسولاً . وعن هذه الآية قال ابن عطية:"هذه الألفاظ عند جماعة علماءالأمة خلفاً وسلفاً متلقاة على العموم التام، مقتضية نصاً أنه لا نبي بعده ﷺ " [3].

وجاءت في السنة النبوية أحاديث تشير إلى أنه خاتم النبيين، ومن ذلك الحديث الذي يصور العلاقة بينه وبين الأنبياء الذين سبقوه، إذ يقول رسول الله ﷺ: (مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بنياناً فأحسنه وأجمله، إلا موضع لبنة من زاوية من زواياه. فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ويقولون: هلّا وضعت هذه اللبنة ؛ قال: فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين)[4].

ومن رحمة الله تعالى بالناس إرسال نبينا محمد ﷺ، إليهم كافة، وهذا جزء مما اختص الله تعالى به رسوله الكريم ﷺ، إذ يقول: (أُعطيتُ خمساً لم يُعطَهُنَّ أحدٌ من الأنبياءِ قبلي، نُصرتُ بالرعبِ مسيرةَ شهرٍ، وجُعلَتْ لي الأرضُ مسجداً وطَهوراً، وأيّما رجلٌ من أُمتي أدركَتْهُ الصلاةَ فليصلِّ، وأُحلَّتْ لي الغنائمُ، وكانَ النبيُّ يُبعثُ إلى قومِهِ خاصةً، وبُعثْتُ إلى الناسِ كافةً وأُعطيتُ الشفاعةَ)[5].

ففي هذا الحديث دليل على أن رسولنا الكريم ﷺ، بمبعثه اختتمت الرسالات السماوية؛ لأن كل أمة من الأمم أرسل الله تعالى إليها رسولاً، قال تعالى: ﴿ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗاۚ وَإِن مِّنۡ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٞ ﴾﴿ فاطر: ٢٤﴾. أي سلف فيها

---

(١) الحجة في القراءات السبع:ابن خالويه:١٨٥.

(٢) تنوير المقباس: ٤٢٣.

(٣) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز:٨٠/١٣، والجامع لأحكام القرآن:٤٩٦/١٤.

(٤) صحيح البخاري: ٣٨٨/٢، وصحيح مسلم: ١١٥٤.

(٥) صحيح البخاري: ١١٤/١.

نبي، فما من أمة مضت من بني آدم، إلا وقد بعث الله تعالى إليهم النذر إلا العرب. قال ابن عباس ﷺ:" (نذير) رسول مخوف" [1].

وفي رواية أخرى للحديث السابق، فيها إشارة صريحة إلى أنه خاتم الأنبياء، إذ يضيف الحديث خصلة سادسة أعطيها الرسول ﷺ، فيقول: (فضلت على الأنبياء بست أعطيت جوامع الكلم، ونصرت بالرعب، وأحلت لي الغنائم، وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً، وأرسلت إلى الخلق كافة وختم بي النبيون)[2].

ويشير نبينا الأكرم ﷺ، إلى أنه قد اختتمت به الرسالات السماوية، وينص صراحة إلى أنه لا رسول بعده ولا نبي، في الحديث الذي يرويه أنس بن مالك ﷺ، إذ يقول رسول الله ﷺ: (إن الرسالة والنبوة قد انقطعت فلا رسول بعدي ولا نبي، قال: فشق ذلك على الناس، فقال: ولكن المبشرات، قالوا: وما المبشرات؟ قال: رؤيا الرجل المسلم وهي جزء من أجزاء النبوة) [3]. كما جاء عن أبي هريرة ﷺ، أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ، يقول:(لم يبقَ من النبوة إلا المبشرات، قالوا : وما المبشرات؟ قال: الرؤيا الصالحة) [4].

ومن إنعام الله تعالى على العباد وتشريفه لهم، أنه ختم الأنبياء والمرسلين بهذا الرسول الرؤوف الرحيم، إذ تمت به نعمة الإسلام وأكمل الله تعالى دينه الحنيف، ليعلم الناس أن كل من ادعى هذا المقام بعده، فهو كذاب أفاك دجال ضال ومضل [5].

فرسول الله ﷺ، كالأب للأمة في الشفقة من جانبه، وفي التعظيم من طرفهم بل أقوى، فإن النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم، والأب ليس كذلك، والنبي الذي يكون بعده نبي إن ترك شيئاً من النصيحة والبيان، يستدركه من يأتي بعده. وأما من لا نبي

([1]) تنوير المقباس: ٤٣٧.

([2]) تفسير القرآن العظيم: ٢٠٤/٦.

([3]) صحيح الجامع: الألباني: ١٦٣١.

(٤) صحيح البخاري:٢٩٧/٤.

([5]) ينظر: تفسير القرآن العظيم: ٢٠٥/٦.

بعده، فهو أشفق على أمته وأهدى لهم وأجدى، إذ هو كوالد لولده الذي ليس له غيره من أحد [1].

ولم يغفل الشعر العربي هذه الصفة خاتم النبيين، بل جاء متناغماً مع ما ورد في آي الذكر الحكيم والسنة النبوية، وهذا ما نجده في قول العباس بن مرداس مخاطباً رسول الله ﷺ، إذ يقول:

يـــا خَـــاتَمَ النُّبـــآءِ إنَّـــكَ مُرْسَـــلٌ بـالحَقِّ كُـلُّ هُـدَى السَّـبِيلِ هُـدَاكَا
بأَنَّ الإِلَـــهَ ثَنَـــى عَلَيْـكَ مَحَبَّـــةً فِـــي خَلْقِـــهِ وَمُحَمَّـــداً سَـــمَّاكَا[2]

ومما جاء في السنة النبوية من أحاديث تشير إلى أنه آخر الأنبياء والمرسلين، ما ورد في الحديث الذي يذكر فيه الرسول ﷺ، أسماءه، إذ يقول فيه:(لي خمسة أسماء: أنا محمد، وأحمد، وأنا الماحي، الذي يمحو الله بي الكفر، وأنا الحاشر، الذي يحشر الناس على قدمي، وأنا العاقب) [3]. والعاقب: هو آخر الأنبياء [4]. وعاقبة كل شيء آخره، وكل من خلف بعد شيء فهو عاقبه [5].

([1]) ينظر: التفسير الكبير: ١٨٦/٢٥.

([2]) ينظر:الديوان:٩٥، ومعاني القرآن للأخفش:٨١، واللسان: ٤٢١/٨.

([3]) صحيح البخاري: ٣٨٧/٢.

([4]) النهاية في غريب الحديث: ٣/ ٢٦٨.

([5]) الصحاح: ٧٢٢.

الخاتمة

ما هذا البحث إلا قطرة من بحر السيرة العطرة لرسول الله ﷺ، تطرق البحث فيها إلى لمحة يسيرة من حياته ﷺ، دون الخوض في تفاصيلها ؛ لأن ذلك يحتاج إلى أسفار من أجل إيفائها حقها من البحث والدراسة.

ومن الضروري تحديد بعض المصطلحات التي يقع فيها اللبس أحياناً، وتختلط دلالة الألفاظ على كثير من الناس، وهذا ما جرى بحثه في التمهيد، عند بيان الدلالة اللغوية للنبي والرسول، فتبين من خلال البحث أن هناك صلة ما بين الكلمتين، هي علاقة خصوص وعموم، فالرسالة أعلى مرتبة من النبوة ؛ لأن كل رسول نبي، وليس كل نبي رسولاً .

وتم بحث حياة رسول الله ﷺ، ضمن محورين: الأول تضمن ولادته، وتبين أن الراجح هو أن ولادته كانت في الثاني عشر من شهر ربيع الأول، في عام الفيل الذي حمى الله سبحانه وتعالى، البيت العتيق من كيد الأعداء الذين أرسل عليهم طيراً أبابيل فجعلهم كعصف مأكول، ومنذ ذلك الحين أصبحت لقريش مكانة عند بقية القبائل؛ لأن الله تعالى تولى الدفاع عن بيته نيابة عنها.

أما المحور الثاني: فوفاته التي حصلت في يوم الاثنين الثاني عشر من شهر ربيع الأول أيضا سنة إحدى عشرة للهجرة، وكان عمره ثلاثاً وستين سنة.

وفي الدلالة اللغوية لاسمه ﷺ، فإن الله تعالى سماه في كتابه المبين محمداً وأحمد، فمحمد على وزن (مفعل) مبالغة في كثرة الحمد وزيادته. وأحمد على وزن (أفعل) فهو اسم تفضيل من صفة الحمد، لأنه أكثر حمداً من بقية الرسل عليهم الصلاة والسلام. وفي هذين الاسمين من عجائب خصائصه ﷺ، فالله تعالى حمى أن يسمى بهما أحد قبل زمانه. وأما أحمد، الذي جاء في الكتب السماوية، فقد منع الله تعالى بحكمته أن يسمى به أحد غيره. وكذلك محمد لم يسم به أحد من العرب ولا غيرهم إلى أن شاع قبيل ولادته.

ولما بلغ رسول الله ﷺ، الأربعين من عمره نزل عليه الوحي في غار حراء، وتتابع الوحي إليه لينهض بأعباء النبوة والرسالة التي لا يحملها إلا أهل القوة والعزم من الرسل بعون الله تعالى لهم.

ومما كان له أثر كبير في حياة رسول الله ﷺ، هو مشهد الإسراء من بيت الله الحرام إلى المسجد الأقصى، ومن ثَمَّ العروج إلى السماوات العلا. وفي الاقتران الزمني بين الإسراء من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، دلالة واضحة على العلاقة الوثيقة بين ما بعث به كل من نبينا محمد بن عبدالله وعيسى بن مريم عليهما الصلاة والسلام، وعلى ما بين الأنبياء من روابط الدين الذي بعثهم الله عز وجل به. وفي قصة الإسراء والمعراج إظهار لمنزلة نبينا محمد ﷺ، وهي منزلة عظيمة لا تدانيها منزلة أي رسول آخر.

وفي مجال الأخلاق فقد فاق النبيين في الخلق والخلق. وقد سئلت عائشة (رضي الله عنها) عن خلق رسول الله ﷺ، فأجابت بأحسن الجواب وأبلغه عندما قالت: كان خلقه القرآن، وكان قرآناً يمشي بين الناس يأتمر بأوامره وينتهي عما عنه نهى.

وإذا كانت الأخلاق ترتبط بالصفات المعنوية للإنسان، فإننا نلمس في الشمائل بعداً آخر، هو فن التعامل مع الآخرين، تقول العرب: إنها لحسنة الشمائل، أي شكلها وحالاتها، ورجل كريم الشمائل، أي أخلاقه وعشرته. ومما يتجلى عند رسول الله ﷺ، من شمائله العطرة ما قاله أنس ﷺ : خدمت رسول الله ﷺ، عشر سنين، فما قال لي أُفٍّ قط.

ومحمد ﷺ خاتم الأنبياء والرسل، فلا نبي بعده وهذا مما أجمع عليه المسلمون وعرف من الدين بالضرورة. فالدين الحق واحد بعث جميع الأنبياء للدعوة إليه وهو الإسلام، وأهل الكتاب يعلمون وحدة الدين، ويعلمون أن الأنبياء جاءوا ليصدق كل واحد منهم الآخر فيما بعث به من الدين.

ونبينا محمد ﷺ، يعد من أفذاذ الخلق الذين حلقوا في أعلى المستويات. ورسالته كانت في القمة، إذ اكتملت الرسالات السماوية فيها، وتمت نعمة الله تعالى على عباده الصالحين. وحياة محمد ﷺ، هي الأسوة الحسنة التي يقتفيها كل مسلم، وهي منبع التشريع العظيم الذي يدين به، فمن عرف محمداً ﷺ،عرف الحق في حياته،

وكان لـه نوراً يمشي بـه في الناس، واستظل بظلـه الوارف وإن لـم يعش معـه. ربنـا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا.وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين أولاً وآخراً، الذي بفضله ونعمته تتم الصالحات.

المصادر والمراجع

١. الإتقان في علوم القرآن: السيوطي، المكتبة التوفيقية، القاهرة (د – ت).

٢. أسباب النزول: الواحدي، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ط١، ١٣٧٩هـ-١٩٥٩م.

٣. إعراب ثلاثين سورة: ابن خالويه، دار التربية، (د- ت).

٤. أولو العزم من الرسل: د. طه وادي، دار النشر للجامعات مصر، ط٢، ١٤١٨هـ- ١٩٩٨م.

٥. البداية والنهاية: ابن كثير، مطبعة السعادة بمصر، ١٩٣٢م.

٦. بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: الفيروزآبادي، القاهرة، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م.

٧. التعريفات: الجرجاني، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، (د- ت).

٨. تفسير غريب القرآن: السجستاني، دار التراث القاهرة، (د – ت).

٩. تفسير القرآن العظيم: ابن كثير، مكتبة الصفا، القاهرة، ط١، ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م.

١٠. التفسير القيم: ابن قيم الجوزية، دار الهيثم القاهرة، ط١، ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م.

١١. التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب: الرازي، المكتبة التوفيقية، القاهرة، (د- ت)

١٢. تفسير الكشاف: الزمخشري، دار المعرفة، بيروت- لبنان، ط١، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.

١٣. تقريب النشر في القراءات العشر: ابن الجزري، دار الحديث القاهرة، ١٤٢٥هـ- ٢٠٠٥م.

١٤. تنوير المقباس في تفسير ابن عباس: الفيروزآبادي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٢٣هـ- ٢٠٠٢م.

١٥. الجامع لأحكام القرآن: القرطبي،راجعه وضبطه د.محمد إبراهيم الحفناوي وآخرون، دار الحديث القاهرة،١٤٢٨هـ .٢٠٠٧م.

١٦. الحجة في القراءات السبع: ابن خالويه، تحقيق:أحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط٢،٢٠٠٧م .١٤٢٨هـ.
١٧. ديوان الأعشى الأكبر:اعتنى به وشرحه:عبد الرحمن المصطاوي، دار المعرفة بيروت، ط١، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥.
١٨. ديوان العباس بن مرداس،مؤسسة الرسالة،بيروت،ط١،١٩٩١م.
١٩. الرحيق المختوم: المباركفوري، دار العلوم عمان، ط١ ١٤٢٣هـ- ٢٠٠٢م.
٢٠. السيرة النبوية: ابن هشام، دار االتقوى، مصر، (د – ت).
٢١. الشفا بتعريف حقوق المصطفى: القاضي عياض، دار الكتب العلمية، بيروت ط٣، ٢٠٠٦م- ١٤٢٧هـ.
٢٢. صحيح البخاري: البخاري، المكتبة التوفيقية، القاهرة (د – ت).
٢٣. صحيح الجامع الصغير وزياداته: الألباني، طبع المكتب الإسلامي (د- ت).
٢٤. صحيح مسلم: مسلم، مكتبة الإيمان، المنصورة،أمام جامعة الأزهر، (د-ت).
٢٥. الفروق اللغوية: أبو هلال العسكري، تحقيق:أبي عمرو عماد زكي البارودي، المكتبة التوفيقية، أمام الباب الأخضر. سيدنا الحسين، ١٤١٩هـ.
٢٦. فقه السيرة:د.محمد سعيد رمضان البوطي، دار الفكر بيروت، ١٣٩٨هـ-١٩٧٨م.
٢٧. فقه السيرة:محمد الغزالي، دار الكتب الحديثة، ط٧، ١٩٧٩م.
٢٨. في ظلال القرآن: سيد قطب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٣٩١هـ-١٩٧١م.
٢٩. الكتاب: سيبويه، دار الجبل للطباعة، القاهرة، ط٢، ١٤٠٢هـ- ١٩٨٢م.
٣٠. كتاب العين:الخليل بن أحمد الفراهيدي، دار الحرية للطباعة والنشر، ١٩٨٦م.
٣١. لسان العرب: ابن منظور، المطبعة المصرية للطباعة والتأليف والنشر (د-ت).
٣٢. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ابن عطية، تحقيق: الرحالي الفاروقي وآخرون، الدوحة، قطر،ط١، ١٣٩٨هـ .١٩٧٧م.

٣٣. المستفاد من قصص القرآن للدعوة والدعاة: د. عبدالكريم زيدان، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م.
٣٤. المسند: للإمام أحمد بن حنبل، دار المعارف بمصر، ١٣٦٨هـ- ١٩٤٩م.
٣٥. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، الفيومي، دار الكتب العلمية بيروت، ط١، ١٤١٤هـ- ١٩٩٤م.
٣٦. معاني القرآن: الأخفش، دار الكتب العلمية بيروت، ط١، ١٤٢٣هـ- ٢٠٠٢م.
٣٧. معاني القرآن وإعرابه: الزجاج، عالم الكتب بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م.
٣٨. معجم الصحاح: الجوهري، دار المعرفة، بيروت، ط١، ١٤٢٦هـ ٢٠٠٥م.
٣٩. معجم مقاييس اللغة: ابن فارس، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ- ٢٠٠١م.
٤٠. مع المصطفى: بنت الشاطئ، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٣٩٢هـ- ١٩٧٢م.
٤١. المفردات في غريب القرآن: الأصفهاني، المكتبة التوفيقية، القاهرة، (د-ت).
٤٢. مناهل العرفان في علوم القرآن: الزرقاني، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٢، (د. ت).
٤٣. مواهب الرحمن في تفسير القرآن: المدرس، دار الحرية للطباعة بغداد، ١٤٠٩هـ- ١٩٨٩م.
٤٤. النبوة والأنبياء: الصابوني، المكتبة العصرية بيروت، ٢٠٠٧م- ١٤٢٨هـ.
٤٥. النشر في القراءات العشر: ابن الجزري، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان،ط٣، ٢٠٠٦م .١٤٢٧هـ.
٤٦. النهاية في غريب الحديث والأثر: ابن الأثير، القاهرة، ١٣١٧هـ .